حولين كاملين ان المراة قد تلد لستة اشهر ولم يفهمه عثمان فهم برجم امراة ولدت حتى ذكره ابن
عباس فاقر به ولم يفهم عمر من قول ... امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها قتال مانعي الزكاة حتى بينه له الصديق فاقر به وفهم
قدامة بن مظعون من قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا رفع الجناح على الخمر حتى بين له عمر انه لا يتناول الخمر ولو تامل سياق الاية
لفهم المراد منها فانه انما رفع الجناح عنهم فيما طعموه متقين له فيه وذلك انما يكون باجتناب
ما حرمه من المطاعم والاية لا تتناول المحرم بوجه ما وقد فهم من فهم من قوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة انغماس الرجل في العدو حتى بين له ابو ايوب
الانصاري ان هذا ليس من الالقاء بيده الى التهلكة بل هو من بيع الرجل نفسه
ابتغاء مرضات الله وان الالقاء الى التهلكة هو ترك الجهاد والاقبال على الدنيا وعمارتها
وقال الصديق رضي الله عنه ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية وتضعونها على
غير مواضعها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا المنكر فلم يغيروه
اوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده فاخبرهم انهم يضعونها غير مواضعها
في فهمهم منها خلاف ما اريد بها واشكل على ابن عباس امر الفرقة الساكتة
التي لم ترتكب ما نهيت عنه من اليهود هل عذبوا او نجوا حتى بين له مولاه عكرمة
دخولهم في الناجين دون المعذبين وهذا هو الحق لانه سبحانه قال عن
الساكتين واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا فاخبر انهم انكروا فعلهم وغضبوا عليهم وان لم يواجهوهم بالنهي فقد
واجههم به من ادى الواجب عنهم فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض
كفاية فلما قام به اولئك سقط عن الباقين فلم يكونوا ظالمين بسكوتهم وايضا فانه
سبحانه انما عذب الذين نسوا ما ذكروا به وعتوا عن ما نهوا عنه وهذا لا
يتناول الساكتين قطعا فلما بين عكرمة لابن عباس انهم لم يدخلوا في الظالمين
المعذبين كساه بردة وفرح به وقد قال عمر بن الخطاب للصحابة ما
تقولون في اذا جاء نصر الله والفتح السورة قالوا امر الله نبيه اذا فتح

عليه ان يستغفره فقال لابن عباس ما تقول انت قال هو اجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه فقال ما اعلم منها غير ما تعلم وهذا من
ادق الفهم والطفه ولا يدركه كل احد فانه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله
بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمه من فتحه على رسوله ودخول الناس
في دينه وهذا ليس بسبب الاستغفار فعلم ان سبب الاستغفار غيره وهو
حضور الاجل الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار
بين يديه ليلقى ربه طاهرا مطهرا من كل ذنب فيقدم عليه مسرورا راضيا
مرضيا عنه ويدل عليه ايضا قوله فسبح بحمد ربك وهو صلى الله عليه وسلم
كان يسبح بحمده دايما فعلم ان المامور به من التسبيح بعد الفتح ودخول الناس
امر اكبر من ذلك المتقدم وذلك مقدمة بين يدي انتقاله الى الرفيق الاعلى وانه قد
بقيت عليه من عبودية التسبيح والاستغفار التي ترقيه الى ذلك المقام بقية
فامره بتوفيتها ويدل عليه ايضا انه سبحانه شرع التوبة والاستغفار في
خواتيم الاعمال فشرعها في خاتمة الحج وقيام الليل وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سلم استغفر ثلاثا وشرع للمتوضي بعد كماله ان يقول اللهم اجعلني
من التوابين واجعلني من المتطهرين فعلم ان التوبة مشروعة عقيب الاعمال
الصالحة فامر رسوله بالاستغفار عقيب توفيته ما عليه من تبليغ الرسالة والجهاد
في سبيله حين دخل الناس في دينه افواجا فكان التبليغ عبادة قد اكملها واداها
فشرع له الاستغفار عقيبها والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص
وان منهم من يفهم من الاية حكما او حكمين ومنهم من يفهم منها عشرة احكام
او اكثر من ذلك ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه و
دون ايمائه واشارته وتنبيهه واعتباره واخص من هذا والطف منه
ضمه الى نص اخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرا زايدا على ذلك اللفظ بمفرده و
هذا باب عجيب من فهم القران لا يتنبه له الا النادر من اهل العلم فان الذهن
قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به وهذا كما فهم ابن عباس من قوله وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا مع قوله والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ان

Copyright King Saud University